نزار قباني

هل تسمعين صهيل أحزاني

مكتبة زهران
١٥ شارع الشيخ محمد عبده خلف الجامع الأزهر
ت: ٢٥١٤٢٩٥٥

رقم الإيداع: ١٧٠٨٧ / ٢٠١١

خمسون عاماً من الشعر
سيرة ذاتية قصيرة

١

في مثل هذا الشهر، قبل خمسين عاماً، هجم عليَّ الشعر.
لم يطرق الباب..
ولم يستأذن..
ولم يتكلم معي بالتليفون..
وفجأة.. وجدتُهُ في وسط الغرفة، جالساً على حقيبته الجلدية الضخمة، كغجري ضائع العنوان.
ثم نهض ليتعرف على خريطة بيتي.
دخل أولاً إلى غرفة الحمام، وأخذ (دوشاً)..
واستعمل فرشاة أسناني.. ومناشفي.. وأدوات حلاقتي..
ثم فتح الثلاجة، وسألني:
«ماذا لديك من طعام.. إني جائع..»
قلت: خبز.. وجبن روكفور.. وزجاجة نبيذ (بوردو)..
قال: طعامك متحضِّر. رغم أن الجبن يرفعُ ضغطي..
والنبيذ يشعل حرائقي..

ثم دخل إلى غرفة نومي..
ففتح الخزائن والجوارير، وأخرج واحدةً من بيجاماتي..
وارتداها دون أن يستأذنني..
ولسوء الحظ كان مقياس جسده كمقياس جسدي..
ثم اختار لنفسه مقعدا مريحاً وسكب لنفسه كأساً وبدأ يحتسي النبيذ الفرنسي بلذة العارف الذواقة..
وبعدما أنهى زجاجة النبيذ، احتل سريري.. وسرق كل أغطيتي، وشراشفي، ومخداتي..
وقال لي: «تصبح على خير..»
ونمت أنا على الكنبة..
ولا زلت منذ خمسين عاما نائما على الكنبة..

٢

في مثل هذا الشهر من عام ١٩٤٠، دخل الشعر إلى بيتي، ولم يخرج منه حتى الآن..
في البدء، تصورت أن الزائر الغامض، سوف يمكث يوما أو يومين.. أسبوعاً أو أسبوعين.. شهراً أو شهرين..
ولم أكن أتصور أنه سيصبح صاحب البيت، وأصبح أنا أجيراً

عنده، أصنع له قهوته، وأشتري له الصحف والسجائر، وأغسل له ملابسه الداخلية، وألمع له أحذيته..

لم أكن أتصور أن الرجل الغامض، سوف يأخذ مني (ورقة الطابو).. ويسجل البيت باسمه، ويبقى جالساً فوق رأسي إلى يوم القيامة.

يأكل عندي.. ويشرب عندي.. ويلعب الورق عندي.. ويتزوج عندي.. ويُنجب أولاداً أُرضعهم أنا.. وأربِّيهم أنا.. وآخذهم إلى المدرسة.. أنا..

٣

السُّكْنى مع الشعر في بيت واحد لمدة خمسين عاماً، كالسكنى في (العصفورية).. لا تعرف فيها طبيعة مرضك.. ومتى سيطلقون سراحك..

كالسكنى على حافة البركان، لا تعرف متى يهدأ.. ولا تعرف متى يثور..

كالزواج من امرأة مجنونة.. لا تعرف متى تعانقك.. ولا تعرف متى تخنقك..

ليس هناك مزاح مع الشعر.

فإما أن يعطيك الميدالية الذهبية..
وإما أن يسبب لك الذبحة القلبية..
وعندما جاءتني الذبحة القلبية عام ١٩٧٤، ونقلوني إلى مستشفى الجامعة الأمريكية في بيروت، جاءني الرجل الغامض يحمل لي أزهاراً جميلة، وقال لي:
- I am sorry أنا الذي افتريتُ عليك.. سامحني..
قلت له: (ولا يهمك) إنني أدفعُ استحقاقات الشعر عليَّ. وأن يموتَ الإنسان وهو يكتبُ الشعر.. خير له من أن يموت وهو يلعب الورق.. أو يدخن الشيشة.. أو يتفرج على مسلسل عربي في التلفزيون!!!..

٤

حين دخلت إلى بحر الشعر قبل خمسين عاماً، لم يكن لدي فكرة عن فن الغوص، وعن أخلاق البحر..
ظننت أن الماء لن يصل إلى ما فوق ركبتي.. وإنني سوف ألعب بالرمل والموج والأصداف.. وآخذ حمام شمس لبضع ساعات.. ثم أعود إلى قواعدي..
ولكنني لم أعد إلى البر أبدا..

وحين جاءت أمي بعد غروب الشمس لتبحث عني.. قال لها رئيس دورية خفر السواحل:

- العوض بسلامتك.. يا سيدتي. ابنك مخطوف. خطفته إحدى جنيات البحر وتزوجته ولا أمل بعودته.

صرختْ أمي باكية:

- ولكنه ابني.. أتوسل إليك يا سيدي أن تعيد لي ابني.

أجابها رئيس الدورية:

- إنني أفهم أحزانك يا سيدتي، وأتعاطف معك.. ولكن تجربتي الطويلة مع البحر، تسمح لي أن أصارحك، أن الزواج من حوريات البحر، زوراج كاثوليكي..

ولا توجد في سجلات مخفرنا أية سابقة لحورية اختطفت رجلا.. وأعادته إلى أحضان أمه..

قالت أمي: استحلفكَ بأولادك يا سيدي.. افعل شيئاً لإنقاذ ابني. إنه لا يزال صغيراً على الحب..وصغيراً على الزواج. إنني أعطيكَ كل خواتمي، وأساوري، لتقدمها إلى الحورية، علَّها تُطلق سراح ابني..

قال لها رئيس الدورية:

إن حوريات البحر، يا سيدتي، في حالة عُرْي كامل صيفاً وشتاءً. لذلك فإن الأساور، والخواتم، والساعات المطعمة بالماس.. لا تثيرُهُنَّ.. ولا تعني لهنَّ شيئاً.. إن رشوة حوريات البحر، مهمة مستحيلة..

قالت أمي: ولكن ولدي لا يعرف شيئاً عن الحب.. وعن الزواج.. إنه لا يزال تلميذاً في الثانوية العامة..

أجابها رئيس الدورية، وهو يُخفي ابتسامةً ماكرة:

لا تقلقي.. لا تقلقي يا سيدتي.. فسوف تعلمه حورية البحر أسرار الحب تحت الماء.. إلى أن يتخرج أميرالاً من أكاديمية البحر..

٥

بعد خمسين عاماً على زواجي من حورية البحر..
رزقت بخمسين ولداً/ كتاباً.. جميعهم بصحة جيدة..
أيامي مع حورية البحر، لم تكن كلها أيام شهر عسل..
كانت أحوالنا تُشبه أحوال البحر.. مدًّا وجزراً.. وصحواً ومطراً.. وطقساً جميلاً.. وعواصف مجنونة..
كانت هي مشغولة بالتنزلُج على الماء.. مع أولادها..

وكنت أنا مشغولاً بأوراقي.. وكتاباتي.. ونرجسي..
كنت أنا أتكلم مع أشجار المرجان، وسلاحف الماء..
وكانت هي.. تطارد أية سمكة أنثى تقتربُ مني..

٦

بعد خمسين عاماً من معاشرة القصيدة، أعترف لكم أنها امرأة متعبة. امرأة مزاجية، متسلطة، ولا تصير كلمتُها كلمتين.. تغازلك متى تريد.. وتتزوجك متى تريد.
وترسل إليك ورقة الطلاق متى تريد..
وليس صحيحاً أن الشاعر هو الذي يبدأُ الغزل، وهو الذي يستدعى القصيدة. بل القصيدة هي التي تُشير إليه بإصبعها.. فيمتثل..
ثم ليس صحيحاً أن الشاعر (بيده العصمة) في العمل الشعري. إن القصيدة وحدها هي التي تملك العصمة.
القصيدة هي التي تهيء غرفة النوم.. وهي التي تُعد كؤوس الشراب.. وهي التي تختار نوع الموسيقى.. وهي التي تخلع ثيابها.. وتفترسك بلا مقدمات. وكاذب كل شاعر يقول لك إنه (اغتصب قصيدة). فنحن جميعاً مغتصَبون..

ورغم أن بعض الشعراء في سيرهم الذاتية، يحاولون أن يَظْهَرُوا بمظهر (الدونجوانات).. ويوحون لك بأنهم (القوَّامون على قصائدهم)، إلا أن هذا الادعاء باطل، لأن الشاعر كملك السويد يملك ولا يحكم.

في حين أن القصيدة هي التي تأمر، وتنهي، وتقول للشعر: (كن فيكون..).

٧

عندما دخلت إلى ورشة الشعر، قبل خمسين عاماً، كانت المواد الأولية متوفرة بكثرة من حولي. فراشي، وأصباغ، وطين، وصلصال، وخشب، وقماش، وجبس، وأزاميل، وقوالب، وفرن لطبخ السيراميك..

قلت لمعلمي في الورشة: ماذا أفعل؟ من أين أبدأ؟

قال: ابدأ من حيث تريد. واستعمل أصابعك جيداً.. ولا تلتفت إلى يمينك.. أو إلى شمالك..

إياك أن تقترب من قوالب الآخرين، فإنها سجن..

اصنع قوالبك بنفسك. فالطين هنا. والماء هنا. والفرن هناك.

وإذا احترقت أصابعك أثناء العمل، فضعها تحت حنفية الماء..

فليس لدينا في الورشة قطن، وسبيرتو..

ثم.. لا تتكلم مع زملائك أثناء العمل، لأنني في ورشتي لا أحب الثرثرة، والكلام الفارغ..

قلت: ولكنني يا سيدي غشيم.. ولم أتجاوز السادسة عشرة. ألا يمكنك أن تعطيني ولو فكرة صغيرة، عن طريقة الشغل؟

صرخ المعلم في وجهي:

- يا ولد.. ليس عندي هنا روضة أطفال.. ولا بيبرونات ولا حليب ولا كاكاو.. البس (الأوفرول) الأزرق فوراً.. ودبِّرْ حالك..

٨

ولبست (الأفورول) الأزرق، وانخرطت في ورشة العمل.

كانت كلمات معلمي تدق كالأجراس في داخلي:

- لا تلتفت يميناً.

- لا تلتفت شمالاً.

- لا تقترب من قوالب الآخرين.

مرَّ عليَّ هذا الكلام خمسون عاماً، ولا تزال الأجراس تدق في أعماقي. ولا يزال (الأفورول) الأزرق ملتصقاً بجسدي ليلاً

ونهاراً. أعمل به، وأنام به، وأستحم به..

ولا زلتُ أطبق (الريجيم) الشعري الذي أوصاني به أستاذي بحذافيره.

صحيح أن الريجيم كان قاسياً، ولكنه ساعدني على الاحتفاظ بلبقاتي الشعرية على مدى خمسين عاما.

كان من السهل عليّ أن أجلس على موائد الآخرين، وآكل بيتزا.. ومعكرونة.. وقوزي.. وكنافة بالقشطة..

ولكنني لم أفعل. وظلت لاءات معلمي تلاحقني وأنا أجلس إلى طاولة الطعام، وإلى طاولة الكتابة حتى اليوم.

٩

لا تُعذبوا أنفسكم في تصنيفي..

إنني شاعر خارج التنصيف.. وخارج الوصف والمواصفات.

فلا أنا تقليدي، ولا أنا حداثوي، ولا أنا كلاسيكي، ولا أنا نيو كلاسيكي، ولا أنا رومانسي، ولا أنا رمزي، ولا أنا ماضوي، ولا أنا مستقبلي، ولا أنا انطباعي، أو تكعيبي، أو سريالي.

إنني (خلطة) لا يستطيع أي مختبر أن يحللها.

إنني (خلطة حرية).

هذه الكلمة التي كنت أبحث عنها منذ خمسين عاماً.. ووجدتها هذه اللحظة فقط..

١٠

الحرية تحررني من كل الضغوط التي يمارسها التاريخ على أصابعي..

تحررني من كل أنظمة السير، ومن كل إشارات المرور.

الحرية تحررني من غباء آلات التسجيل، ومن السقوط بين أسنان الآلات الناسخة..

تحميني من ارتداء اللباس الموحد، والقماش الموحد، واللون الموحد. فالقصيدة ليست مجندة، ولا ممرضة، ولا مضيفة طيران...

الحرية تسمح لي بأن ألبس اللغة التي أشاء.. في الوقت الذي أشاء..

إنني هارب من نظام الأحكام العرفية في الشعر.

كما أنا هارب من قوانين الطوارئ، ومن (لزوميات ما لا يلزم).

لا أسمح لأحد أن يتدخل بأشكالي.

فلقد أكتب المعلقة الطويلة.

ولقد أكتب (التلكس) الشعري القصير.
ولقد أكتب قصيدة التفعيلة.. أو القصيدة الدائرية.. أو قصيدة النثر..
ولقد أتزوج القافية ذات ليلة.. وأطلقها في اليوم التالي..
وقد أتصعلك كعروة بن الورد..
وقد أرتدي السموكن كاللوردات الانكليز..
وقد أخطب على طريقة قس بن مساعدة..
وقد أعزف الجاز.. وأغني على طريقة البيتلز..
إن حريتي تدفعني إلى ارتكاب حماقات كثيرة..
ولكنني لا أعتذر.. ولا أندم..
فالشعر بدون حماقة هو موعظة في كنيسة..
وبيان انتخابي لا يقرؤه أحد..

١١

مع اللغة، لعبتُ بديمقراطية، وروح رياضية.
لم أتفاصح.
ولم أتفلسف..
ولم أغش بورق اللعب.

لم أكسر زجاج اللغة، ولكني مسحته بالماء والصابون..
ولم أحرق أوراق القاموس..
ولكنني قمت بعملية (تطبيع) بينه وبين الناس.
ولم أقص شارب أبي، وقنبازه، وطربوشه بالمقص.
ولكني استأذنته أن أشتري ملابسي من عند الخياط (سمالتو)..
ولأن أبي كان حضاريا.. فقد طلب مني أن أعرفه على (سمالتو)..
وصار لا يخيط بدلاته إلا عنده..

١٢

منذ البدء كنت مع الديمقراطية الشعرية.
كنت أؤمن أن الشعر هو حركة توحيدية، لا حركة انفصالية..
وأنه همزة وصل، لا همزة قطع.
وأنه فن الاختلاط بالآخرين، لا فن العزلة.
وأنه فن الملامسة والحنان، لا فن إلقاء القبض على الآخرين، واغتصابهم شعريّاً..
إيماني بديمقراطية الشعر، دفعني إلى التفتيش عن لغة تؤمن لي هي الأخرى بالديمقراطية، وتحب الجلوس في المقاهي الشعبية،

و تشرب القرفة واليانسون، وتلعب (الكونكان) وتركب أوتوبيسات الحكومة، وتنزل في فنادق الدرجة الثالثة، وتشاهد مباريات كرة القدم، ومسرحيات عادل إمام، ودريد لحام، وتقرأ سيرة أبي زيد الهلالي..

كنت أؤمن أن الشعر موجود في عيون الناس، وفي أصواتهم. وفي عرقهم، وفي دموعهم، وضحكاتهم، وأن وظيفتي كشاعر هي أن أنقل المشهد الشعبي الكبير.

وهذا ما فعلته خلال خمسين عاماً..

لذلك تجمع الناس حول شعري، ليسمعوا حكايتهم وليشاهدوا شريط الفيديو الطويل الذي أخرجته عن حياتهم.

وإذا كانت أشرطة الفيديو الشعرية التي أنتجتُها هي الأكثر انتشاراً.. فلأن سكان الحارات الشعبية يحبون أن يروا صورتهم بالألوان الطبيعية، وعواطفهم بالألوان الطبيعية.. بدون أقنعة وبدون ماكياج أو مونتاج..

١٣

يحاول النقد أن يتعلق بعربة الشعر.

ولكن الحوذي يضربه بالكرباج..

فيسقط مضرجا بدم أحقاده..

١٤

أنا ممنوع في كل مكانْ
إذن.. فأنا مقروء في كل مكانْ

١٥

قبل أن يدخل النفط إلى حارة الثقافة.
كانت الحارة سعيدة، ومرتاحة، وبألف خير.
وكان الناس يأكلون، ويشربون، ويسهرون عند بعضهم، ويزوجون أبناءهم وبناتهم، ويفتحون أبوابهم للعصافير، ولضوء القمر..
وعندما جاء النفط حاملا براميله..
ودفاتر شيكاته..
وأكياس دنانيره..
فَسَدتْ أخلاق الحارة، وأصبح (الزُّعْران) رؤساء لتحرير الصفحات الثقافية..
وصارت مهنة النقد، كمهنة الصيرفة، خاضعة لقانون العرض والطلب..

١٦

الشاعر العربي، هو بدون شك، أعظم شاعر في الدنيا. لأنه يدفع كمبيالة الشعر مع فوائدها.. وفوائد فوائدها.

فبينما يجلس الشاعر السويسري على ضفاف بحيرة جينيف ليطعم البط..

وبينما يجلس الشاعر الفرنسي في أحد مقاهي سان جرمان، وأمامه قدح كونياك، وفي فمه سيجارة غولواز..

وبينما يفتح الشاعر الانكليزي شهيته بسَطْلٍ من البيرة السوداء..

وبينما يجلس الشاعر الأميركي على سطح بناية (تشيز مانهاتن بنك) في الجادة الخامسة في نيويورك..

يجلس الشاعر العربي على قصيدة مفخخة.. لا يدري متى تنفجر به..

١٧

المرأة ضرورية جدا لكتابة القصيدة.

ولكن إذا زادت الجرعة النسائية عن الحد المعقول.. ماتت القصيدة..

١٨

الشهرة ذبحتني..

كيف يمكنني أن أنام مع ٢٠٠ مليون عربي في غرفة واحدة.. وسرير واحد..؟

١٩

يريد بعض المُتثاقفين أن يقنعونا أن جماهيرية الشاعر، هي مقتله. وأحب أن أطمئنهم أنني شاعر جماهيري.. ولا أزال بعد خمسين عاماً حيًّا أُرزق..

٢٠

كانت المرأة منذ خمسين عاماً حبيبتي..
ولا تزال حبيبتي..
إلا أنني أضفت إليها ضرة جديدة..
اسمها الوطن...

٢١

كل المُلصقات التي وضعوها على صدري..
من شاعر المرأة..
إلى شاعر النهد..
إلى شاعر المراهقات..
إلى شاعر المجتمع المخملي..

إلى شاعر الدانتيل الأزرق..
إلى شاعر الغزل الحسي..
إلى شاعر الإباحية..
إلى الشاعر الفاجر..
إلى الشاعر التاجر..
إلى الشاعر الملعون..
إلى الشاعر الرجيم..
إلى شاعر الهزيمة والإحباط..
إلى شاعر الهجاء السياسي..
كل هذه الملصقات تساقطت كالورق اليابس على الأرض،
وبقيت الأشجار واقفة..

٢٢

في السنوات الأخيرة..
أصبحت أحفر الورق بأظافري حين أكتب..
أصبحت عصبيًّا.. وحارقاً.. وجارحاً..
وصار سُلُوكي كسلوك أرنب بريّ..
نسيت مهنة الدبلوماسية التي زاولتها عشرين عاماً..



نسيت مجاملة الرجال.. وتقبيل أيدي النساء..
نزعت قميصي المُنَشَّى.. وكلامي المُنَشَّى..
وقررت أن أكون مباشراً كطلقة مسدس..

٢٣

كلما قرأت في الصحافة الأدبية تعبير (النزارية)..
اجتاحتني موجة كبرياء..
أليس رائعاً أن أكون صاحب طريقة شعرية.. كالشافعية.. والحنفية.. والحنبلية.. والمالكية؟؟.

٢٤

الشعر الحديث لم يصنعه أحد..
لا بدر شاكر السيَّاب، ولا نازك الملائكة.. ولا فلان.. ولا علتان..
الحداثة مقطوعة موسيقية جماعية، بدأت في الثلاثينيات، وشارك فيها كورس كامل من الشعراء العرب المقيمين والمغتربين.
كل واحد بآلة..
أو بجملة موسيقية.
أو بلازم.

أو بقرار.
أو بجواب قرار.
وكل من يدعي أنه بتهوفن الشعر العربي الحديث، يجب أن تُقام عليه الدعوى بتهمة النصب والاحتيال..

٢٥

ليس هناك في رأيي لغة عربية واحدة..
ولكن هناك لغات..
هناك لغة الجاحظ..
وهناك لغة ابن المقفع.
وهناك لغة ابن قتيبة.
وهناك لغة الجرجاني.
وهناك لغة البحتري، وأبـي نـواس، والمتنبـي، وأحمـد شـوقي، وأمين نخلة، وإلياس أبو شبكة، وبشارة الخوري، وسعيد عقل، وأدونيس..
كل واحد من هؤلاء، اشتغل على لغته، ورتبهـا، وفرشـها علـى ذوقه، وصبغ جدرانها على ذوقه..
وإذا سألتموني:

- وأنت.. ماذا فعلت بالشأن اللغوي؟

أجبتكم ببساطة:

- لقد اخترعت لغتي.

طبعا أنا لا أدعي أنني فتحتُ القسطنطينية.. أو أنني كألفرد نوبل اخترعت البارود..

ولكنني أقول بكل تواضع أنني عمّرتُ لنفسي بيتاً صغيراً.. ومريحاً.. ووضعتُ بطاقتي الشخصية على بابه..

قد أَصِلُ في خطابي الشعري إلى مستوى الكلام العادي، وقد أُتهم بالنثرية حيناً، وبالتقريرية حيناً آخر.. ولكنني لا أغضب مما يقال لأنني أعتقد أن الجدار الفاصل بين الشعر وبين النثر، سوف ينهار عما قريب كما انهار جدار برلين.

إن (بريسترو كيا الشعر) قادمة..

وإذا كان غورباتشوف نادى بالبريسترويكا السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فإن التغييرات التي أحدثتُها في لغة الشعر منذ خمسين عاماً، هي أيضا (بريسترويكا) نزارية..

جينيف - ١٥/ ١٠/ ١٩٩٠

مدخل

لا تقلقي يوماً عليَّ.. إذا حزنتُ
فإنني رجلُ الشتاء..
إن كنتُ مكسوراً.. ومُكْتئباً
ومطوياً على نفسي
فإن الحزنَ يخترعُ النساء..

نــزار

لماذا؟

١

لماذا ارتبطْتِ بتاريخ جُرْحي؟
وتُوقيتِ حزني.
وفوضَى ظنوني.
لماذا سرقتِ تقاطيع وجهي؟
وشكلَ يدي
ولونَ عيوني.
أنا لا أريدُكِ أن تشبهيني.

٢

أيا امرأةً..
تتغرغرَ كلَّ صباح
بماء عيوني.
إذا كنتِ تستهدفين السلامةَ يوماً
فكيف ركبتِ حصانَ جنوني؟
وإن كنت تعتبرين الزواجَ على سنة الله مني خلاصاً..
فإن يقينَك غيرُ يقيني

فكيف سأكفل مستقبل الياسمين؟؟

٣

أيا امرأةً..
تتجولُ حافيةً في خلايا جبيني..
إذا كنتِ تعتبرين قراءةَ شعري
سريراً وثيراً..
وقطعةَ حلوىَ..
وحمَّامَ شمسٍ.. على شاطئِ البحر..
أرجوكِ، لا تقرأيني..

٤

أيا امرأةً..
تتوهجُ كالسيفِ، بين سطورِ كتابي.
لماذا تحبين شعري؟
وتستمتعين بمرأى اللهيبِ، ومرأى الدُخَان، ومرأى الخراب؟
لماذا تحبين رائحةَ الحزنِ تحت ثيابي؟
وتأتين كلَّ صباحٍ لمقهى اكتئابي

ولا تقرأين الجرائدَ مثلي..
ولا تعرفين التواريخَ مثلي..
ولا تسألين عن الطقسِ، مثلي..
لماذا طلبتِ اللجوءَ لغاباتِ صدري؟
وكيف تنامين بينَ صراخِ عروقي..
وبينَ صراخِ الذئابِ؟؟

٥

أيا امرأةً..
يبدأُ العمرَ عندَ ابتداءِ يديها.
لماذا معي تحملينَ صليبَ العذاب؟
أنا رجلٌ من نسيجٍ غريب..
وعصرٍ غريب..
وطقسٍ غريب..
فكيف تركتِ قصورَ أبيك؟
وخَيل أبيك..
وجاه أبيك..
وكيف رفضْتِ جميعَ ذكورِ القبيلة

كي تتبعيني؟؟

٦

أيا امرأةً..
يسقط القمحُ، واللوز، والتين..
من ركبتيْها..
أنا رجلٌ يلبسُ الريحَ ثوباً..
فباسم جميع الصحابةِ والأولياءِ..
سألتكِ.. لا تعشقِيني!

٣٠ نوّار ١٩٩١

عملية تجميل

أنا لا أحبُّك.. من أجلِ نفسي.
ولكنْ أحبك..
حتى أجمِّل وجهَ الحياةْ.
ولستُ أحبك..
كي تتكاثرَ ذريتي
ولكن أحبُّك..
كي تتكاثرُ ذرية الكلماتْ..
أحبك..
حتى تظلَّ السماءُ بخير.
ويبقى هديلُ الحمام بخير.
وتبقى عيونُ الصغارِ بخير.
وتبقى الشعوبُ.
وتبقى اللغاتْ.

٢١ نيسان (أبريل) ١٩٩١

مخطط نزاري لتغيير العالم

١

أريد أن أُحِبَّ..
حتى أجعلَ العالمَ برتقالةً
والشمسَ، قنديلاً من النحاسْ.
أريد أن أُحِبَّ..
حتى أُلغيَ الشرطة.. والحدودَ.. والأعلامَ.. واللغاتْ..
والألوانَ.. والأجناسَ..
أريد أن أستلمَ السلطةَ يا سيدتي
ولو ليوم واحد،
من أجلِ أن أقيمَ..
(جمهوريةَ الإحساسْ)..

٢

أريد أن أُحبَّ..
كي أغيرَ العالمَ، يا سيدتي
وأمنحَ الأشياءَ بُعْداً خامساً
وأجعلَ النساءَ بستاناً من النعناعْ.

أريد أن أُلحِّنَ الأشجار..
والأمطارَ..
والأقمارَ، في عينيْك، يا سيدتي
وأضبطَ الإيقاعْ.

٣

أُريدُ..
أن أُهندسَ النهد على طريقتي
فمرةً.. أجعلُه كنيسةً قوطيَّة.
ومرة.. أجعلُه مسلةً مصريةً.
ومرة.. أجعله مروحةً صينيةً.
ومرة.. أجعلُه طيارةً من ورق.. أو كرةً من نارْ..

٤

أريد..
أن أحبَّ دونما تحفظ،
ودونما ندالة،
ودونما استغفارْ
أريد أن أذهبَ في حبك

حتى آخرِ الجنونِ.. والدوار..

٥

أريدُ..
أن أجعلَ من يديْك، يا سيدتي
بستانَ جلنارْ

٦

أريد..
أن أختصرَ النساءَ في واحدةٍ
بحيث لا يبقى على الأرضِ سوى
حضارةِ الأحرفِ..
أو حضارةِ الأزهارْ..

٧

أريد أن أُحِبَّ..
كي أكتبَ شعراً جيداً.
فالحبُّ، في أساسِه
نوعٌ من الإبداعْ.

٨

أريدُ..
أن أُحرقَ، يا سيدتي، خرائطي.
أريدُ..
أن أضيعَ في الضياع.
لم يكن الوصولُ يوماً غايتي
وإنما الإقلاعْ..

٩

أريد..
أن أحبَّ، يا سيدتي
كي أُخرجَ العشاقَ من أقفاصِهم.
وأنقذ الأثداء من خناجرِ الإقطاع..

١٠

أنا.. وأشعاري
نسيجٌ واحدٌ.
لا فرقَ بينَ الوجهِ والقناع.

١١

بامرأةٍ أحبُّها.
بامرأةٍ تحبني.
أقدرُ يا سيدتي
أن أنقلَ الجبالَ من مكانِها
وأنقل البحار..

١٢

لا أدعي قراءةَ الغيوب
يا حبيبتي.
لكنما العالمُ سوف ينتهي
حتماً..
إذا ما انتهتْ الأنوثهْ..

١٣

يا امرأةً
تفوحُ من قفطانِها
رائحةُ البخورِ، والكافورِ، والبهارْ.
يا امرأةً..

تفوحُ من ضحكتِها
رائحةُ الأمطارْ.
أخاف، إن تركتني يوماً،
بأن يأكلني الغبارْ..

١٤

كوني إذن..
قصيدتي، ووردتي.
كوني إذن..
صِفْصافتي ونخلتي
فربما استطعتُ، يا سيدتي
بالشعر..
أن أُشَجِّرَ الصحراءْ..

١٥

هَوُ الهوى.
هو الهَوى.
الباغي الصارخ، والآمر، والقادر..

والمعلومُ، والمجهول،
والمسكونُ بالأسرارْ.
هو الذي يلمسنا بكفِّه
فتنبتُ الحنطةُ تحتَ جلدنا
وتصدحُ الأنهارْ.
وهو الذي يندسُّ في فراشِنا
فيطلعُ اللؤلؤُ من لحافِنا
ويطلع المحارْ.
وهو الذي يكتبُ في دفترِه
أسماءَ صاحباتِنا
وهو الذي يختارْ..

١٦

كوني، إذنْ، حبيبتي
فربما..
نقدر أن نغيِّرَ النظامَ
في مملكةِ السماءْ..

آذار (مارس) ١٩٩١

سيأتي نهار

١

سيأتي نهارٌ..
أحبُّك فيه، سيأتي نهارْ.
فلا تقلقي، إن تأخرَ فصلَ الربيعِ
ولا تحزني لانقطاع المطرْ.
فلا بدَّ أن يتغير لونُ السماءِ،
ولا بدَّ أن يستديرَ القمرْ..

٢

سيأتي نهارٌ..
أُحبك فيه، سيأتي نهارْ
أُذاكرِ فيه دروسي بعمقٍ
وأقرأُ فيه كتابَ الأنوثة
سطراً.. فسطراً..
وحرفاً.. فحرفاً..
وأدخلُ دينَ البنفسجِ و الجلنار..

٣

سيأتي نهارٌ..
به أتعلم كيف تكون الحضارة أُنثى.
وكيف تكون القصيدةُ أُنثى.
وكيف تكون الرسالةُ بين الحبيبين، أُنثى.
وكيف تصيرُ النساءُ- إذا ما عشقْنَ-
عصافيرَ نورٍ ونارْ..

٤

سيأتي نهارٌ..
أشيل ثيابَ البداوة عني.
لكي أتعلمَ من ناهديْكِ
أُصولَ الحوارْ..

٥

سيأتي نهارٌ..
به سوف أدخلُ أرضَ السلام.
وأعرف كيف أُميزُ بين جُنون النبيذِ..
وبين هدوءِ الرخامْ..

وبينَ انفعال يدي..
وبين دبابيس شعرِك تحتَ الظلامْ..
وبين بكائي على ركبتيك..
وبين بكاءِ الحمامْ..

٦

سيأتي نهارٌ..
سأترك فيه عصورَ انحطاطي.
وأكتبُ فيك كلاماً جميلاً
به أتخطى حدودَ اللغات..
وأكسرُ فيه زجاجَ الكلامْ..

٧

سيأتي نهارٌ..
به أتحررُ من عقدةِ البَرِّ عندي
وأرحل نحوَ أعالي البحار..
لأجمع من فضةِ الركبتينِ المحارْ.
سيأتي نهارٌ..
أُحمُّ وجهي،

بماءِ يديْك الحضاريتينِ،
وأترك خلفي عصورَ الغبارْ..

٨

سيأتي نهارٌ..
يغير كلَّ خرائطِ عمري
كأي حريقٍ..
كأي انفجارْ..
ولا أستطيع التنبؤَ في أيِّ وقتٍ
ستشتعل النارُ تحتَ ثيابي
ومن أي صوبٍ سيأتي الدمارْ.
سيأتي نهار أحبك فيه..
وأعرف أني سأنزفُ مثلَ القصيدةِ،
فوق الجدارْ..

٩

سيأتي نهارٌ..
أُحبك فيه،

وأعرفَ أن التورطَ في العشق،
فعلُ جنونٍ..
وفعلُ انتحارْ..
فلا تقلقي أن تأخرَ عنك قطاري قليلاً
فأني اتخذتُ القرارْ..

١٠

سيأتي نهارٌ.. أُصححُ فيه شعوري
وأذبحُ فيه غروري
وأغسلُ إرثَ القبيلةِ في داخلي
وأعلن فيه الخروجَ على شهريارْ..
سيأتي النهار.. أُسرحُ فيه جنودي.
وأُطلقُ فيه سراحَ خيولي.
وأَخْتُمُ فيه فُتُوحي.
وأُخبرُ شَعبي
بأن الوصولَ لشاطئِ عينيْكِ..
كـان أهمَّ انتصارْ..

٥ نيسان (أبريل) ١٩٩١

لقطات في متحف الشمع

كلامُ يديْكِ الحضاريَّتَيْنِ.
كلامٌ طويلٌ طويل
فهل تسمحين لعيني
بتسجيلِ هذا الكلامِ الجميلْ؟..

٢

يداك..
حصانان يغتسلان بدمعي
فهل تسمحين لأذُني
بشربِ دموعِ الصهيلْ؟

٣

يداك..
تراثٌ من الشعرِ..
يمتد عشرين قرناً
فهل تسمحين بتدوين هذا التراثِ الأصيلْ؟

٤

يداك..

كتابًا صلاةٍ أمامي
وشمعٌ..
وزيتٌ..
وسقفٌ..
وبيتٌ..
وظلٌّ ظليلْ.

٥

يداك اكتشافٌ.
ومنذُ دخولي،
إلى متحفِ الشمعِ، ذاتَ نهارٍ
مشيتُ إلى منبعِ الضوءِ،
دونَ دليلْ..

٦

.. ومنذ رأيتُ يديْكِ المُلُوكيَّتينِ
تُعدَّان لي قهوتي في الصباحِ
تعلمتُ..
كيفَ يكونُ احترامُ النخيلْ..

٧

ومنذُ سمعتُ..
حوارَ الأساورِ في معصميْكِ
تحيَّرتُ بينَ الحمامِ
وبين الهديلْ..

٨

يداكِ..
طريقٌ من الموزِ..
والتبغِ..
والزنجبيلْ..
ولا زلتُ الهث بين نُهُورِ دمشقَ..
وبين كرومِ الجليلْ..

٩

أيا امرأةً..
ثقفَّتني يداها
سلامٌ على شجرِ القطنِ
عند الأصيلْ..

١٠

دعيني..
أبوسُ مرايا يديْكِ
وآخذ شيئاً من الزادِ
قبلَ الرحيلْ..

١١

دعيني..
أنام على درجاتِ البيانُو
فلم يبقَ من فسحةِ العمرِ
إلا القليلُ.. القليلْ..

١٢

أريدُ التقاطَ رسومٍ
لشكلِ يديكِ. لصوتِ يديكِ.
لصمت يديك.
فهل تجلسين أمامي قليلاً
لكي أرسمَ المستحيلْ؟؟

١٥ نيسان (أبريل) ١٩٩١

تصويرٌ داخليٌّ

١

بداخلي..
أسستُ، يا سيدتي، حضارةً
عريقةً كتدمير.
عظيمةً كبابلٍ.
حدودُها، تمتدُّ آلافاً من الأميالِ،
فوقَ الماءِ..
والصفصافِ..
والجداول..
تمتدُّ..
من شرقِ العصافير.. إلى جنوبِها
ومن شمالِ الناي.. تمتدُّ..
إلى بنفسجِ العيونِ، والرسائلِ.
يا امرأةً..
قد ألقتِ القبضَ على كتابتي
وخبَّأَتْ قصائدي

في عُتْمةِ الجدائل..

٢

بداخلي..
عمَّرْتِ، يا سيدتي، مدينةً
عاليةَ الأسوارِ والمداخلِ
لنصفِ مليون من البلابلِ..
ونصفِ مليون من الغزلانِ،
والأرانبِ البيضاء،
والأيائلِ..
فضاؤها، أكبرُ من أجنحتي،
نجومُها، أبعدُ من نبوءتي.
وبحرها، أعرضُ من سواحلي..

٣

يا امرأةً..
تخرجُ من أنوثةِ الوردةِ،
من حضارةِ الماءِ،
وسمفونيةِ الجداولِ.

يا امرأةً..
من ألفِ قرنٍ، ربما، أسكنُها.
من ألفِ قرن، ربما، تسكُنني.
يا امرأةً.. تقمصَتْ في كُتبِ الشعرِ..
وفي الحروفِ..
والنقاطِ..
والفواصلِ..

٤

يا امرأةً..
تكاثرتْ. وأخصبَتْ. وأنجبتْ.
وارتفعت كنخلةٍ في داخلي.
توقفي عن النموِّ، يا سيدتي، في داخلي
فلا أنا أعرفُ ما هويتي.
ولا أنا أعرفُ ما هو دَمي.
ولا أنا أعرفُ ما شكلَ فمي.
ولا أنا أذكرُ يا سيدتي
مِن أيِّ أرضٍ هاجرتْ قبائلي..

٥

سيدتي:
سيدةَ البحارِ، والأقمارِ، والأمطارِ،
والبروقِ، والزلازل.
لا ترقصي حافيةً فوقَ شرايين يدي..
لا تلمعي كنخجرٍ في داخلي..
يا فَرساً.. صهيلُها من ذهبٍ
ونهدُها..
من الرخامِ السائلِ..

كانون الأول (ديسمبر) ١٩٩٠

من ملفات النساء..

.. وكنت تقولينَ لي
في زَمانِ السذاجةِ، والحلم،
والفرحِ المستحيلْ.
كلاماً جميلاً..
وكنتُ أُصدِّقُ هذا الكلام الجميلْ.
«سأبقى أُحِبُّكَ..
دون رجوعٍ، ودون ندامهْ..
من الآنِ..
حتى بداياتِ يومِ القيامهْ..»
وبعدَ ثلاثين عاماً..
تبخَّرتِ مثل غمامهْ.
وأنجبتِ عشرين طفلاً..
وغيرتِ عشرين حُبًّا..
وضيعتِ عمرَك..
بين الرحيلِ، وبين الرحيلْ..
وبعد ثلاثين عاماً..

بقيْتُ وحيداً مع الشِّعْرِ.. مثل النخيلْ.
ولم يبقَ بينَ الأصابعِ شَعْرٌ قصيرٌ..
ولم يبق شَعْرٌ طويلْ..
ولم يبقَ لي منك إلا..
علاماتُ يومِ القيامهْ!!

١٧ نيسان (أبريل) ١٩٩٤

هل تسمعين صهيل أحزاني

١

ما تفعلينَ هنا؟
ما تفعلين هنا؟
فالشاعرُ المشهورُ ليس أنا..
لكنني..
بتوتري العصبِّي أُشبههُ.
وغريزةِ البدويَ أشبهه.
وتطرفي الفكري أشبهُهُ.
وجنوني الجنسيِّ أشبهه.
وبحزني الأزليِّ أشبهه.
هل تسمعينَ صهيلَ أحزاني؟

٢

ما تبتغين لديّ، سيدتي؟
فالشاعرُ الأصليُّ ليس أنا..
بل واحدٌ ثاني..
يا من تفتشُ في حقيبتِها

عن شاعرٍ غرقتْ مراكبُه
لن تعثري أبداً عليّ بأيِّ عنوانٍ.
شبحٌ أنا.. بالعينِ ليس يُرَى.
لغةٌ أنا.. من غيرِ أَحْرُفِها.
مَلكٌ أنا.. من غير مملكةٍ.
وطنٌ أنا..
من غيرِ أبوابٍ وحيطانِ.

٣

يا غابتي الخضراءَ يؤسفني
أنْ جئتِ، بعدَ رحيلِ نيسان.
أعشابُ صدري الآن يابسةٌ
وسنابلي انكسرتْ..
وأغصاني.
لا نارَ في بيتي لأُوقدَها
فليرحم الرحمنُ نيراني.

٤

لا تحرجيني.. يا بنفسجتي

أشجارُ لوزِكِ لا وصولَ لها
وثمار خَوْخَكِ.. فوقَ إمكاني.
لم يبقَ عندي ما أقدّمه
للحبِّ..
غيرَ صهيلِ أحزاني..

٥

أغزالةٌ بالبابِ واقفةٌ؟
من بعدما ودَّعْتُ غزلاني.
ماذا تُرى أهدِي لزائرتي؟
شِعري القديم؟
نسيتُ قائلَه.
ونسيتُ كاتبَه.
ونسيتُ نسياني.

٦

هل هذه الكلماتُ شغلُ يدي؟
إني أشكّ بكلٍّ ما حولي.
بدفاتري.
بأصابعِي.
بنزيفِ ألواني.
هل هذه اللوحاتُ من عملي؟
أم أنها لمصوِّرٍ ثاني.

٧

يا طفلةً.. جاءت تُذَكِّرني
بمواسمِ النعناعِ.. والماءِ..
ماذا سأكتبُ فوقَ دفترِها؟
ما عُدتُ أذكرُ شكلَ إمضائي!!
لا تبحثي عني.. فلن تَجِدِي
مني..
سوى أجزاءِ أجزائي.

٨

يا قطتي القزحيّةَ العينين..
لا أحدٌ..
في شارعِ الأحزانِ، يعرفني.
لا مركبٌ في البحرِ، يحملني.
لا عطرٌ، مهما كان، يسكرني.
لا ركبةٌ شقراءُ.. أو سمراءُ.. تُدهشني.
لا حبّ..
يدخلُ مثل سكينٍ بشرياني..

٩

بالأمسِ.. كان الحبُّ تسليتي.
فالنهدُ.. أرسمُه سفرجلةً.
والعطرُ.. أمضغه بأسناني.
بالأمسِ.. كنتُ مقاتلاً شرساً
فالأرضُ أحملُها على كتفي.
والشعرُ، أكتبُهُ بأجفاني.
واليومَ، لا سيفٌ.. ولا فرسٌ..

سقطَتْ على نهديْك.. أوسمتي
وملاحمي الكبرَى.. وتيجاني..

١٠

عن أيِّ شيء تبحثين هنا؟
فالشاعرُ المشهورُ ليس أنا..
بل واحدٌ ثاني.
مقهى الهوَى فرغتْ مقاعدُه
حَولي،
وما أكملتُ فِنجاني!!

٦ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٩٠

درسٌ في الحب.. لتلميذةٍ لا تقرأ

١

أنا لم أقلْ،
أني عشيقٌ رائعٌ.. أو مدهشٌ..
أو رائدٌ في فنه،
لكنني سأحاولُ.
أنا لم أكن بطلاً خرافياً كما يصفونني
لكنني من نصفِ قرنٍ لا أزل أحاولُ.
لن تعرفي طعمَ السلم بجانبي
فأنا التناقضُ والتحولُ.. والجنونُ العاقلُ
لا تحلمي أبداً ببحرٍ أزرقٍ.
أو أسودٍ..
أو أبيضٍ..
فأنا بحاري ما لهن سواحلُ
إياك أن تتورطي.
فأنا، مع الأوراقِ، كلَّ دقيقة أَتَقاتَل..

٢

أنا لم أقلْ..
إني سأعملُ عاشقاً متفرِّغاً
ببلاطِ سيدتي الجميلة،
إنما سأحاولُ.
أنا لم أقل أبداً بأن مواقفي أبديةٌ..
وعواطفي أبديةٌ..
هذا كلامٌ باطل.
أنا لم أقلْ بأني سأبقى ثابتاً
ومُعلَّباً.. ومُحنَّطاً..
فأنا حمامٌ زاجلُ!!

٣

أنا لم أقلْ..
بأني سأرهن للنساءِ قصائدي
طولَ الحياة،
وباسمِهنَّ أقاتلُ.
لا شيءَ يعلو فوقَ صوتِ قصيدتي

فتعلمي درساً صغيراً واحداً..
هو أنني..
عن كبرياءِ الشعرِ، لا أتنازلُ.

٤

قلَبَ النبيذُ خرائطي، ومراكبي
ما أنت فاعلةٌ؟
وما أنا فاعلُ؟
أنا لم أقلْ،
إني حبيبُك.. أو عشيقُك.. أو صديقُكِ..
إنما قال النبيذُ مشاعري
كم للنبيذِ، مع النساءِ، فضائلُ!!..

٥

بيني وبينَكِ..
ألفُ عام حضارة
فيدي مثقفةٌ.. ونهدُكِ جاهلُ..
شجرُ السفرجل سُكَّرِي، ناضجٌ
وأنا على سجادةِ الكاشان..

طفلٌ ذاهلُ.

٦

طار الحمامُ الزاجلُ..
حط الحمامُ الزاجل..
وأنا أواجه ناهداً متعجرفاً
يأبى مجاملتي..
فكيفَ أجاملُ؟

٧

صعدَ النبيذُ إلى السماء..
ولم يعدْ..
وأنا أُجربُ أن أكون مثقفاً
ماذا تُفيدُ ثقافتي؟
ودمي على ورقِ الكتابةِ، سائلُ
لو عُروة فوقَ القميصِ تفلَّتَتْ
لتفجرتْ..
تحتَ القميصِ زلازلُ..

٨

سقط النصيفُ..
وليس ثمةَ مهربٌ
فعن اليمينِ قبائلٌ وثنيةٌ
وعن الشمالِ قبائلُ..
سقط النصيفُ.. فكلُّ طعنةِ خنجرٍ
ينمو عليها زنبقٌ.. وسنابلُ.
وأنا أسيرُ وراءَ نعشي ضاحكاً
(يرضى القتيلُ، وليس يرضى القاتلُ)..

تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩٠

إلى امرأة محايدة..

١

لا تتركيني واقفاً..
ما بينَ منطقةِ البياض،
وبين منطقةِ السواد.
أنا في شئونِ الحبِّ..
لا أرضى الوقوفَ على الحياد.
فرغتْ زجاجاتُ النبيذِ.. فقرري
إن كنتِ من حزبِ الجحيم، صديقتي
أو كنت من حزبِ الرمادْ..

٢

أنا السنابلُ أصبحتْ ذهبيةً
ما يفعل العصفورُ في زمنِ الحصاد؟
لا وقتَ عندي..
كي أكونَ منجِّماً.
أو باحثاً..
أو عالماً بتحولاتِ الريحِ،

[illegible]لا.. ولا متصوِّفاً
حتى آتابعَ في فراشِ الحبِّ.. مبهوراً
حكايا شهرزادْ..

٣

لا تتركيني نازفاً..
بينَ القصيدةِ والقصيدهْ.
إني تعبتُ من اللغاتِ،
فعلميني النطقَ، يا لُغتي الجديدهْ.
قلقي بغيرِ نهايةٍ
ومرافئي في الشعرِ، أبعدُ من بعيدهْ.
ألغى النبيذُ حدودَنا الأولى.. فلا تتحرجي
لا شيءَ يفصلُ بينَنا..
إلا عقودُك..
والأساورُ..
والجريدهْ..

٤

بيني وبينَك..
هضبةٌ أو هضبتان..
وبعدَها..
ستلوحُ لي أشجارُ جنتِك السعيدهْ..
بيني وبينَك..
بوصةٌ أو بوصتان..
وعطرُك الهمجيُّ يغرز طفرَهُ
في مُهْجتي..
وأنا أمامَ العطرِ أركض كالطريدهْ..

٥

فَوْضاك رائعةٌ..
فظلّي هكذا..
فأنا أحبُّك في غموضِكِ..
في وضوحِكِ..
في ظهورِك..
في اختفائِك..

في تجليكِ الجميلِ
وفي حضارتِك الفريدهْ..

٦

لا تتركيني هامشاً..
أو نقطةً بيضاءَ في كتبِ الغرام.
البحرَ في عيني مفتوحٌ لكلِّ حمامةٍ
تأتي،
فأين تُراهُ قد ذهبَ الحمامْ؟
يا وردةً تطفو على سطحِ النبيذ..
على أنوثتِك السلامْ..

٧

كيف العثورُ عليكِ؟
يا من تظهرينَ، وتختفينَ
كقطةٍ سوداء في جوفِ الظلامْ
كيف العثورُ عليك.. إني ضائعٌ
بين القطيفةِ، والبنفسجِ،
والزمردِ، والرخامْ.

إن كنتِ خائفةً.. فلا تتكلمي
فأنا أشمُّ الصوت..
قبل مجيئهِ..
وأشمُّ رائحةَ الكلامْ!!

٨

لا تتركيني عالقاً بينَ الإجابةِ والسؤالْ..
البحرُ يرفعني إلى الأعلى..
إلى الأعلى..
إلى الأعلى..
وما لاحتْ بلادُ البرتقالْ.
تتقاطعُ الأشكالُ والألوانُ في رأسي
فلا أدري الشروقَ من الغروبِ،
ولا الجنوبَ من الشمالْ.
وأنا.. أراكِ ولا أراكِ..
فقرري..

هل أنتِ من جنسِ النساءِ.. صديقتي؟
أم أنتِ، سيدتي، احتمالْ؟؟

كانون الأول (ديسمبر) ١٩٩٠

اعترافات رجلٍ نرجسي

١

.. وبعد ثلاثينَ عاماً
تأكدتُ أني أحبُّك..
بعدَ ثلاثين عامْ.
وأنك امرأتي دونَ كلِّ النساءْ
وأيقنتُ أن جميعَ الذي كان قبلك
كان سراباً..
وكان دُخاناً..
وكان احتلامْ..

٢

وبعدَ ثلاثين عاماً
عرفتُ غبائي الشديدْ
وسخفي الشديدْ
وأيقنتُ أنك شمسُ الشموسِ
وبرُ السلامْ.
وأني بدونَك طفلٌ

أضاع حقيبتَه في الزحامْ
وأنك أمي التي ولدتني
ومنها تعلمتُ كيفَ أُمشط شعري
وكيف أُذاكرُ ليلاً دروسي
وكيف أُهَجِّي الكلامْ..

٣

وبعد ثلاثينَ عاماً
طلبتُ اللجوءَ السياسيَّ للحبِّ..
حين اكتشفتُ بأني تعبتُ..
وأني انهزمتُ..
وأن إناء غروري انكسرَ..
حجزتُ مكاناً لحزني بكلِّ مطارْ
وألغيتُ بعد قليلٍ حجوزَ السفرِ.
فلا قبلتني بلادُ الجفافِ
ولا قبلتني بلادُ المطرْ.

٤

هي النرجسيةُ قد دمرتني

فكلُّ العيون محطَّاتُ ليل
وكلُّ النساءِ لدي سَفَرْ!!
أُفتش فوقَ الخريطة
عن وطنٍ مستحيلٍ
فما من رصيفٍ أنامُ عليه
ولا من حَجَرْ..

٥

وبعد ثلاثين عاماً
خلعتُ ثيابَ التخلفِ عنّي
وحمَّمْتُ عينيَّ بماءِ المرايا
وضوءِ الرخامْ.
دخلتُ زمانَ الحضارةِ
حين رأيتُ يديْكِ..
ولملمتُ بالعينِ ريشَ النعامْ
وعمَّرْتُ عند التقاءِ الضفيرةِ.. والنهدِ..
أولَ عاصمةٍ للغرامْ..

٦

وبعدَ ثلاثين عاماً
وجدتُ بعينكِ مفتاحَ حُريَّتي
ومن قبل عينيكِ كنتُ ضريراً
أُفتشُ عن شمعةٍ في الظلام
وقبلَ حريرِ ذراعيك..
ما كان عندي
مكانٌ على الأرضِ فيه أنامْ..

٧

وبعدَ ثلاثين عاماً
تخلصتُ من عُقْدةِ البدوِ في داخلي
ومن صرخة الأعينِ السود
خلفَ ثقوبِ الخيامْ..
وثَقَّفْتُ عيني.
وثقفت أذني.
وحَط السنونو على كتفيَّ
وفتحَ في القلبِ وردُ الشامْ.

٨

وبعد ثلاثين عاماً
بدأت أجمعُ أجزاءَ نفسي.
وألصقُها بعد طولِ انفصامْ.
وقررت أن أستعيدَ لياقةَ فكري
ودهشةَ شِعري..
وكنت أفكرُ تحتَ الرُّكامِ.
وأكتب تحتَ الرُّكامْ..

٩

وبعدَ ثلاثين عاماً
وجدتُك تحتَ قميصي
مخبَّأةً مثلَ فرخِ الحمام..
وحين مددتُ إليك يدي
تحولتِ في لحظات
إلى امرأةٍ من غمامْ..

١٠

وبعد ثلاثين عاماً

رأيتُ بعينيْك برهانَ ربي
وشاهدت نورَ اليقينْ
وشاهدتُ كلَّ الصحابةِ والمرسلينْ
وشاهدتُ برقاً.
وشاهدتُ ناراً.
وشاهدتُ بالعينِ.. رائحةَ الياسمينْ
وشاهدتُ.. شاهدتُ
حتى نسيتُ الكلامْ..

١١

سماءٌ من الكحلِ، تمحو سماءْ
نساءٌ تكسَّرن فوقَ نساءْ
وأنت ستبقين.. بعدَ ثلاثين قرناً
ستبقين بيتَ القصيدِ..
ومسكَ الختامْ..

نيسان (أبريل) ١٩٩١

حوارٌ.. مع عارضة أزياء

١

كم أنتِ، يا سيدتي، بسيطةٌ وطيبهْ
ما زلتِ تبحثينَ في ذاكرتي
عن ياسمين قرطبهْ.
وعن حمامِ قرطبهْ.
وعن نساءِ قرطبهْ
ما زلت تبحثين عن رائحةِ النعناع، في عباءتي المقصَّبهْ.
ما زلت تبحثين، يا سيدتي
عن وردةٍ جُوريَّةٍ زرعتها في عروقي
وقطةٍ شامية خبأْتُها في معطفي قبل فراق قرطبهْ..

٢

كم أنتِ، يا سيدتي، جميلةٌ
لكن بغيرِ تجربهْ..
يا امرأةً ليس لها علاقةٌ
بالعصرِ.. أو بالوقتِ..
أو بالبردِ.. أو بالحرِّ..

أو بالحزنِ.. أو بالموتِ..
أو بالمدنِ المقهورةِ، المسحوقةِ، المُعذبهْ
يا امرأة ليس لها علاقةٌ
بكلِّ ما يحدث من زلازلٍ
في خارج الغرفةِ، أو في روحي المضطربهْ..

٣

يا امرأةً..
شديدةَ الهدوءِ والتهذيبِ،
كم تُضْجرني الأنوثةُ المهذبهْ
يا امرأةً..
تُطالع الأخبارَ كالسائحةِ المغتربهْ..
انفعلي..
تحسسي.
تفجري.
تذمَّري.
لا تجلسي على سريرِ الحبِّ،
مثل الحطبهْ..

٤

يا امرأةً.. أُحبها حيناً
ولا أحبُّها حيناً..
فلا تستغربي تناقضي، وقسوتي
أيتها القرنفلهْ..
يا امرأةً.. ليس لها هوايةٌ يوميةٌ
سوى قياسِ صدرِها.. وخصرِها..
وشهوتي المؤجَّلهْ..
يا امرأةً.. ليس لها مشكلةٌ
سوى الدخولِ في دمي.
أو الخروجِ من دمي.
الله.. ما أصغرَها من مشكلهْ!!

٥

يا امرأةً.. تختصرُ النساءَ والأنوثهْ.
ماذا تُراني فاعلٌ؟
بالنهدِ في شموخِه..
والشَّعرِ في جنونه..

والشفةِ الغليظةِ الملتهبهْ؟
ماذا تراني فاعلٌ؟
بالـشمعِ.. والرخـام.. والفيـروزِ.. واليـاقوتِ.. والأزهـار..
والثمار.. والحدائقِ المعلقهْ؟
هل ممكنٌ أن أفصلَ الحبَّ عن التاريخ يا سيدتي؟
هناك، يا سيدتي، أسئلةٌ
ليس لهن أجوبهْ..

٦

يا امرأةً.. تريدُ أن أُحبَّها
على رمادِ العصرِ، والتاريخِ، والحضارةِ المخرَّبَهْ..
يا امرأةً تريدُ أن أحبها
فوقَ ركامِ قرطبهْ
ماذا بوسعِ الشِّعر أن يفعلهُ؟
في مدن الثقافةِ المُعلبهْ..
واللغةِ المُعلبهْ..
ماذا بوسع الحبِّ أن يفعلهُ؟
في وطنٍ، أبوابُهُ خائفةٌ.

أشجارهُ خائفةٌ.
جدرانُهُ خائفةٌ.
حدودُه مكهربهْ..

٧

قرطبةٌ؟؟
يا ليتني أعرفُ، يا سيدتي
أين تكونُ قرطبهْ؟
خرائطي عتيقةٌ.
بُوصِلتي مكسورةٌ.
أشرعتي مثقوبةٌ.
حُرِّيتي مُسْتَلَبَهْ..
من نصفِ قرنٍ، وأنا
أقيمُ في حقائبي.
أنامُ في حقائبي.
أرتشفُ القهوةَ في حقائبي.
وما وصلتُ قرطبهْ..

٨

يا امرأةً.. تعيشُ في إجازةٍ طويلةٍ
لا تسألي:
(أين تُرَى، سنلتقي ثانيهْ؟)
هناك، يا سيدتي، أسئلة
ليس لهن أجوبهْ..
من نصفِ قرن، وأنا منتظرٌ
رسالةً تجيئني من ياسمينِ قرطبهْ.
فلا خطابَ جاءَ من غرناطةٍ.
ولا خطابَ جاءني من قرطبهْ.
ما مرةً.. دخلتُ فيها وطني
إلا شعرتُ أنني بضاعةٌ مُهرَّبهْ!!

٢١ آذار (مارس) ١٩٩١

عَشْرُ رسائل إلى سيدةٍ في الأربعين..

١

إذا وصلتِ إلى عامِكِ الأربعينْ..
ستفقدين جنوني..
وتفقدين الرحيلَ معي في قطارِ الجنونِ..
وتفقدين الجلوسَ معي في مقاهي الجنونِ..
وتفقدين تراثَ النبيذِ الفرنسيِّ..
وتفقدين فتافيتَ خبزِ (الباغيت)..
وتفقدين فنادقَنا في بلادِ الحنينِ.
وتسترجعين ملامحَ وجهي.
ولكن.. من الصعب أن تستعيدي جنوني!!..

٢

وفي الأربعينْ..
ستفقدين كلاماً جميلاً
من الصعبِ أن يُستَعادْ..
وركنا صغيرا بصدري
من الصعبِ أن يستعادْ.

وتفتقدين سريراً وثيراً من الكلماتْ
وقصرا عظيماً من المفرداتْ
وتفتقدين طموحَ خيالي
وعصفَ ظنوني.
أنا من كتبتُ في دفترِ الشعر والياسمينِ..

٣

وفي الأربعينْ..
ستفقدين حماسَ يديَّا..
ونارَ الرجولةِ في شفتيا..
وسوفَ يدورُ الزمانُ عليكِ
كما سيدورُ عليَّا.
وسوف تقولينَ في ذاتِ يومٍ حزينْ
سلام على الحبِّ..
يومَ يعيشُ
ويوم يفنَى..
ويوم يُبعثُ حيًّا..

٤

وفي الأربعينْ..
ستندهشين أمامَ المرايا..
وتفتقدينَ مكانَ فمي،
ومكانَ جبيني..
وتفتقدينَ ذراعِي.
وتفتقدين اندفاعِي.
وتفتقدين الرخامَ المليس
الذي صقلتْه عيـوني..

٥

وفي الأربعينْ..
سيدخل نهدَاك فصلَ الغيابْ
ويمضي حمامٌ..
ويسقطُ ريشٌ..
وتبكي قِباب..
وفي الأربعين ستنتظرينَ قصيدةَ شعرٍ
مخبَّأة في كتابْ..

وتنتظرين حصانَ الحبيب الذي لن يجيءْ..
وتكتشفين..
أن جميعَ الرجالِ سرابْ..

٦

وفي الأربعينْ..
سيصبح عمرُك نثراً.
ويصبح صدرُك نثراً.
ويصبح خصرُك نثراً.
وتسترجعين رسائلَ حبي إليك.
نشيداً نشيداً..
وسطراً.. سطراً..
أنا من جعلتُك..
- دون جميعَ الجميلاتِ -
شهداً مُصفّى..
وشِعْراً..

٧

سيملأ ثلجُك في الأربعين البرارِي



وتفتقدين نبيذي.
وتفتقدين روائحَ تبغي.
وتفتقدين حِواري.
وتنتظرينَ الذي لا يجيءُ..
وتنتظرين انتظاري..

٨

وأعرفُ أنك في الأربعينْ
ستقطع عنك مياهُ المطر..
وأعرف أنك في آخرِ الشهر..
سوف تكونين حَقلا بغير ثمرْ..
وأنك في آخرِ الليل،
سوف تكونين ليلًا بغير قمرْ..
وأنك سوف تجوبين كلَّ مقاهي الرصيفْ
بغيرِ جوازِ سفرْ..

٩

وفي الأربعينْ..
ستفتقدين مرافئَ صدري..

ورائحةَ الملح تحتَ ثيابي
وتفتقدين ارتفاعَ الصواري
وفي الأربعينْ..
سيحفرُ نهداك في الرملِ بيتاً
وينتظران مجيءَ المحار..

١٠

وفي الأربعينْ..
سيسقط ألفُ قناعٍ
وألفُ وُرَيْقةِ تينٍ
وألفُ جدار..
ولنِ أتفاجأ حينَ أراكِ
ككلِّ الإماء..
ككلِّ الجواري..
تزوجت من شهريار!!

نيسان (أبريل) ١٩٩١

مع صديقةٍ في كافيتريا الشَّتَاتْ

١

.. ومن بعدِ خمسين عاماً
دخلتُ وإياك أرضَ الشتاتْ
دخلنا إلى زمنٍ عربيٍّ
تخافُ به الكلماتُ من الكلماتْ..
حقائبنا سُرقت في الطريق
فليس لدينا شطيرةُ خبزٍ
وليس لدينا شطيرةُ حبٍّ
وليس لدينا قميصٌ من الصوف نلبسهُ
حينَ يأتي الشتاء.
وليس لدينا كلامٌ جميلٌ.
وليس لدينا شفاهٌ.. ولا مفرداتْ..

٢

.. ومن بعدِ خمسينَ عاماً
أحسُّ بأني أسافر ضدَّ البلاد،
وضد الكلام، وضد اللغات.

قد احترق الوطنُ الآن..
واحترق البحرُ، والشعرُ، والنثرُ،
واحترقت أجملُ الأغنياتْ.
وأصبحتِ أنتِ البديلَ..
وأصبحتِ أنتِ النخيلَ..
وأصبحتُ أقرأ في شفتيْك..
كتاب الطفولةِ والذكرياتْ..

٣

.. ومن بعدِ خمسين عاماً
أجيئُك، مثلَ العصافيرِ، من غير ريشٍ
ومن غيرِ صوتٍ..
لكي أتعلمَ منك البكاءْ.
ومن بعدِ خمسين عاماً.
أحاول أن أتذكرَ كيفَ أحبُّ النساءْ
وأن أتذكر شكلَ الأنوثةِ فيكِ..
وعطرِ السفرجل..
والكستناءْ..

وكيف أُقدم للسيداتِ ولائي.
وكيف أُؤدّي لهن فروضَ الصلاةْ..
دعيني أحبُّكِ..
كي أتبارَك..
كي أتماسَك..
كي أتجمعَ من بعدِ هذا الشتاتْ.
دعيني أحبُّك..
حتى أحولَ بالحبِّ مجرى الحياةْ..

٤

قد انفجر الوطنُ الآن..
أي الدروبِ سنسلُك ليلا؟
وقد لَغَمُوا منزلَ الحق..
باعوا ثياب الأمير..
وباعوا الصباحَ، وباعوا المساءْ
قد انفجر الوطنُ الآن..
ماذا سنكتبُ؟
إنَّ أصابِعَنا من زجاج

فهل دخل الشعرُ أيضاً
زمانَ الشتاتْ؟

٥

هم أعدموا قمرَ الليل شنقاً
فماذا سنفعلُ بعدَ اغتيالِ القمرْ؟
وهم أحرقوا شجرَ الوردِ والياسمينْ؟
فماذا سنلبس بعدَ احتراقِ قميصِ الشجرْ؟
وهم طعنوا بالخناجرِ كلَّ الغيوم
فكيف سيأتي إلينا المطرْ؟
وهم أوقفوا الريحَ كي لا تمرَّ علينا
فصرنا نسافرُ في عرباتِ الغجرْ.
وهم صادروا أدواتِ الكتابةِ منا
فصرنا نطرز أسماءَنا في الحجرْ..

٦

قد احترق الوطنُ الآن..
ماذا سأفعل؟

حتى أصحح هندسة العِشق
ماذا سأفعل؟
حتى أرممَ هذا الخرابَ الكبير
الذي يتراكمُ تحتَ جفونِك..
ماذا سأفعل؟
حتى أحرر نهديْك من عقدةِ الخوفِ..
حتى أعيدُ إلى حلمتيك الثباتْ؟؟

٧

أيا امرأةً..
تستحمُّ بماءِ المرايا.
عليك السلامُ
عليك السلامُ
أحبُّك..
أكثرَ من أيِّ يوم مضى..
وأعنفَ من أيِّ يوم مضى..
وأشرسَ من أي يوم مضى..
وأغمدُ ظفري

بلحمِك أنت.. ولحمِ السماءْ
أحاول أن أتمسكَ بالخَصرِ حيناً.
وبالعنقِ حيناً.
وبالناهِد المتشاوفِ حيناً.
وبالزغبِ المتناثرِ..
مثلَ الحشيشِ الربيعيِّ.. حيناً..
ولا أتنازل عن شهواتي
فتلك غريزةُ حفظِ البقاءْ.

٨

ومن بعدِ خمسين عاماً
أراك بمقهى صغيرٍ هنا.
عندَ بحرِ الشمالْ.
فنجلسُ مثلَ النوارسِ، بعدَ الضياعِ الطويلْ.
و ننزف بينِ السؤالِ وبينَ السؤال.
أحبك حيثُ تكونينَ..
يا أكثرَ السيداتِ شحوباً.
ويا أكثرَ السيداتِ هدوءاً.

ويا أكثرَ السيداتِ انكساراً وحزناً.
ويا آخرَ الشعرِ في دفترِ البرتقالْ.

٩

أحبُّك.. يا من على شفتيْها
تلوحُ قلوعُ.. وتطوىَ قلوعْ.
وتأتي بلادٌ.. وتمضي بلادْ.
أحبُّك..
يا امرأةً كحمامِ الكنائس،
يا لغةً من رخامٍ، وورودٍ، وماءْ
أحبك..
يا امرأةً تتجمعُ كلُ نُهُور الأنوثةِ فيها..
وتسكنُ فيها جميعُ النساءْ..

١٠

دعيني أحبُّك..
كي أتخلصَ من فائضِ الحزنِ في داخلي..
وكي أتحررَ من زمنِ القبحِ والظلماتْ.
دعيني أنام بجوفِ يديْكِ قليلاً

أيا أعذبَ الكائناتْ.
فبالحبِّ.. يمكنني أن أغيرَ هندسةِ الكونِ..
يمكنني أن أقاومَ هذا الشَّتاتْ..

أيلول (سبتمبر) ١٩٩٠

حبٌّ.. في حقيبة السفر

١

«متى أراكَ مرةً ثانية؟»
واشتعلَ التاريخُ
في أصابعي العشرِ..
وفي كياني..
فهل هناك امرأةٌ عاقلةٌ
تَقبلُ أن تراني؟
وهل هناك امرأةٌ ذكية
تُراهن اليومَ على حصاني؟
وهل هناك ناهدٌ مراهقٌ
يدخلُ مثلَ السيفِ في شرياني؟
أخطأتِ...
يا أيتها الحسناءُ في الرهانِ
فلا أنا الشخصُ الذي قرأتِ عن أمجادِهِ
ولا هنا إقامتي..
ولا هُنا عنواني!!

٢

«أين أراكَ مرةً ثانيةً؟»
هذا هو المأزِقُ، يا سيدتي.
فإنني أسكنُ في حقيبةِ السفرْ.
أنام في حقيبةِ السفرْ.
أستقبلُ النساءَ في حقيبةِ السفرْ.
وأنجبُ الأطفالَ في حقيبة السفرْ.
هذي شروطُ الحبِّ..
في أرضِ تميم، وكُلَيْبٍ، ومضرْ..
فما الذي يغريك في زيارتي؟
أنا الذي أصبحَ وجهي
مرةً مثلثاً.
ومرةً مربعاً.
ومرةً مكعباً.
وصالحاً لرحلةٍ واحدةٍ
مثل بطاقاتِ السفرْ..

٣

«كيف أراكَ مرةً ثانية؟»
فاجأني سؤالُها الآتي
من المجهول، واللا منتظرْ.
فلم أكنْ أعرفُ أن امرأةً
مدهشةً كالشِّعْر..
أو مرسومةً مثلَ الصورْ..
يمكن أن تجلسَ نصفَ ساعةٍ
معي، على مقهى الضَجْر.
ولم أكن أعرفُ أن امرأةً
تخزنُ في أهدابِ عينيها
القضاءَ والقدرْ..
تسند يوماً ثديْها على حَجَرْ!!.
«متى أراكَ مرةً ثانية؟»
وانفجر السؤالُ تحتَ مقعدي كالقنبلهْ.
كم أنت يا سيدتي ساذجةٌ..
ففي زمانٍ عربيٍّ يابسٍ.. ومالحٍ

وخائفٍ من نفسِه.
وخائفٍ من خوفِه
ماذا تفيدُ الأسئلهْ؟
أين إذن أراكِ يا سيدتي
في كوكبِ المريخ..أم على طريقِ الجلجلهْ؟
لا شارعي أعرفُهُ.
لا هاتفي أعرفُه
لا معطفي القديم– لو رأيته– أعرفه.
لا رقمَ الباص الذي يُوصلني
إليك، يا سيدتي، أعرفُه
لا وطني المزروع في عينيْ، كالقرنفلهْ.
أعرفُه..
فساعديني كي أحلَّ المُشْكلهْ..

٥

أين إذن أراكِ يا سيدتي؟
حين يكون الحقُّ في زجاجةٍ.

والأصفياءُ في زجاجةٍ.
وصورةُ الحاكم فوقَ رأسِنا
جاهزةٌ كالمقصلهْ..
ما هي جدوى الأسئلهْ؟
ما هي جدوى الأسئلهْ؟

أيار (مايو) ١٩٩١

من يوميات رائد فضاء

١

إذا ما وقفتُ على قمةِ النهدِ..
أشعرُ أن يدي ستلامسُ سقفَ السماء..
وأشعر أني اقتربت من الحقِّ..
أني اقتربتُ من الأفقِ..
أني اقتربت من الشعرِ..
أشعر أني أسيرُ على الماء، مثلَ المسيحِ
وأنتظر الوحي كالأنبياءْ..

٢

أنا أولُ الداخلين
إلى ملكوتِ الفضاءْ.
أنا أولُ الشاربين حليبَ النجومِ..
وأولُ من ذاق فاكهةَ الاستواءْ..
وأولُ من كتب الشِّعْر
فوق مرايا الضُّحَى
ونبيذَ المساءْ..

٣

إذا ما وقفتُ على فِضَّةِ النهدِ.
أشعر أني جلستُ على عرش كِسْرى.
وأني امتلكتُ مفاتيح روما..
وأهرامَ مصرَ..
وأني تحدرتُ من آخرِ الخلفاء.
وأني دخلت إلى قصرِ غرناطةٍ
فصارت شفاهي عريشةَ وردٍ..
وصارت دموعي
نوافيرَ ماءْ..

٤

أنا في الأعالي.
أنا في الأعالي.
بحار القطيفة دونَ انتهاءْ.
وريشُ العصافيرِ دونَ انتهاءْ.
يحاصرني الثلجُ من كلِّ صوبٍ.
فأين نهاياتُ هذا البياضْ؟

أدوخُ قليلاً..
أضيعُ قليلاً..
وأُدفن تحتَ الثلوج قليلاً..
ولكنني - رغمَ عصفِ العواصف-
أبقى صديقَ الشتاءْ
وأعرفُ أن الصعودَ خطيرٌ..
وأن الهبوطَ خطيرٌ..
ولكنني.. في غمارِ الفتوحِ الكبيرة
لا أتراجع نحوَ الوراءْ..

٥

هنا.. تتأكدُ حريتي.
وينفصلُ الحبُّ عن وزنه.
وينفصل الشِّعرُ عن شكلِه.
وينفصل الحزنُ عن حزنِه.
وأهربُ من عالمٍ لا نوافذَ فيه
لكي أتنشقَ بعضَ الهواء.
هنا.. تصبحين خلاصةَ شعري

هنا..
تصبحين جَميعَ النساءْ..

٦

تعلمتُ معنى التصوفِ في رحلتي
وسرَّ الحلولِ.. وسرَّ الفناء
وحينَ رأيتُ براهينَ ربي
تكسَّرْتُ من شدةِ العشق..
مثلَ الإناءْ..

٧

شربت نبيذَ المسافاتِ..
ثم جلستُ..
أُمشط شعرَ الغيومِ وشعرَ القمر..
تنقلت بينَ الشمالِ وبينَ الجنوبِ..
وبينَ سيبيريا..
وبين آلاسْكا..
وبينَ سويسرا..
وبينَ بافاريا..

ونمتُ كطفلٍ صغيرٍ
على هَدْهَدَاتِ المطرِ.
تنقلت بين جبالِ الرخامِ..
وجبال الذهبْ..
وبين حقولِ الجليدِ وحقول اللهبْ.
وبين شفاه النساء.. وبين دوالي العنبْ؟
لعبتُ بخيطانِ حُريتي
ثلاثين عاماً..
وجملتُ أرضَ البشرْ.
ولا أتذكرُ أن عقيداً أتاني
ليطلبَ مني جواز السفر..

٨

وحين أعودُ.. سأخبر قومي
بأني رأيتُ.
وأني سمعتُ.

وأني تزلجتُ فوقَ هلالَيْن من فضةٍ
وأني غسلتُ قميصي بضوءِ النجومِ..
وأني غفوتُ طويلاً
على شجرِ القطنِ.. والكستناءْ..

٩

أما رجالُ الصحافةِ، سوف أقولُ:
بأني صعدتُ.. وأني صعدتُ..
وأني جرحتُ يدي بزجاج السماءْ..
وأني رأيتُ الذي لا يُرَى.
شُمُوسٌ تدورُ.
وأرضٌ تفورُ.
وبحرٌ يثورُ.
وأني رجعتُ، وفي جُعبتي
ملفاتُ كلِّ النساءْ!!

١٠

أيا نهدَها الملكيَّ الأصولْ..

إليك أقدمُ أَسْمى ولائي
فعنك.. أخذتُ الكثيرَ من الكبرياءْ..

آذار (مارس) ١٩٩٠

لابُدَّ أن أستأذنَ الوطن

١

من قبلِ أن أكتبَ عن عينيْكِ.. يا حبيبتي.
لابد أن أستأذنَ الشجرْ.
من قبل أن أكتبَ عن وجهِكِ يا أميرتي
لابد أن أستأذنَ القمرْ.
من قبلِ أن أكتبَ عن بحري، وعن عواصفي
لابد أن أستأذنَ المطرْ..
من قبلِ أن أدوَر في فضاءِ النهدِ.. يا سيدتي
لابد لي..
لابد لي..
لابد أن أستأذن الوطنْ.

٢

في هذه الأيامِ، يا صديقي..
تخرج من جيوبنا فراشةٌ صيفية تُدْعَى الوطن.
تخرجُ من شفاهِنا عريشةٌ شاميةٌ تُدْعَى الوطن.
تخرج من قُمْصاننا

مآذنُ. بلابل. جداول. قرنفلٌ. سفرجلٌ.
عُصفورةٌ مائية تُدْعى الوطن.
أريدُ أن أراكِ يا سيدتي..
لكنني أخافُ أن أجرحَ إحساسُ الوطن.
أريد أن أهتفَ كلَّ ليلةٍ، إليك يا سيدتي
لكنني أخاف أن تسمعني نوافذُ الوطن.
أريدُ أن أُمارسَ الحبَّ على طريقتي
لكنني أخجلُ من حماقتي
أمامَ أحزانِ الوطنْ.

٣

هل في مرايا الهندِ مساحةٌ؟
أُبصرُ فيها وجهي المكسور.
وهل بعينيكِ مكانٌ آمنٌ؟
أنام فيه ليلتي.
أنا الذي أحملُ تحتَ معطفي العصورْ.
ضيِّقةٌ.. فنادقُ الحزنِ التي أدخُلها
ضيقةٌ.. معاطفُ الحبِّ التي ألبسُها

ضيقةٌ.. كلُّ الكتاباتِ التي أكتبها
تغيرتْ خرائطُ الشعرِ، كما نعرفها
فأَعْدِمَتْ قصائدٌ جميلةٌ
وتُوِّجتْ قصائدٌ من الخشبْ..

٤

تغيرتْ خرائطُ النساءِ في دفاتري.
تغيرت ملامح الجبالِ، والوديان، والحنطةِ، والعنبْ.
تغيرت مناجمُ الفضةِ والذهبْ.
فلا هناك عبلةٌ
ولا هناك خوْلةٌ.
ولا هناك زينبٌ.
ولا هناك قهوةٌ ولا رطبْ.
تغيرت قرطبةٌ. تغيرتْ غرناطةٌ
فلا نساءَ الشام يبتسمنَ لي
ولا جميلاتُ حلبْ.
إذا تغزَّلتُ بحسنِ امرأةٍ
تأكلني الأسماكُ في بحرِ العربْ.

٥

هذا زمان النثرِ، يا حبيبتي.
فما به شعرٌ. ولا حبٌّ. ولا غيمٌ. ولا أمطارْ.
فكيفَ يا حبيبتي؟
أكتُبُ أشواقي على دفاترِ الغُبار.
أريد أن أراكَ يا حبيبتي
لعلني أسرقُ من عينيْكِ بعضَ النار.
أود أن أقرأَ في يديكِ ما تُخبّئ الأقدارْ
أريدُ أن أزرعَ في أحشائِكِ
الأطفالَ.. والحمامَ.. والأشجارْ..
أريدُ أن أضيعَ في بحرِك حتى آخر الأبحارْ.
أريدُ آلافاً من الأشياءِ،
لكنْ.. فاتني القطارْ..

٦

هل في مقاهي لندن؟
طاولةٌ مفردةٌ
وقهوةٌ جيدة.

تغسلُ عن قلبي التعبْ.
أين تُرى أهربُ من ذاكرتي؟
إذا طلبتُ وجبةَ الإفطار، يا سيدتي
يأكلُها أبو لهب..
إذا دخلتُ صالةَ الحَمام،
يستقبلني أبو لهب..
إذا تكلمتُ على الهاتف من مدينةٍ
يدخلَ في الخط معي، أبو لهب..
إذا دعوتُ امرأةً جميلةً
إلى العشاءِ ليلةً..
يجلسُ في أحضانِها أبو لهب..
هل في مقاهي لندن زاويةٌ صغيرةٌ؟
خاليةٌ من العربْ..
أبحث في الصباحِ عن جريدةٍ
صينيةٍ.. كوريةٍ.. هنديةٍ
أرتاح فيها من فصاحاتِ العربْ..
وعنترياتِ العربْ!!

أُمشِّط التاريخَ، يا سيدتي
عبارةً عبارةً.
وصفحةً صفحةً.
فلا أرى إلا خياماً أكلتْ خياما..
ولا أرى إلا نظاماً قد محا نظاما
ولا أرَىَ معتصماً..
ولا أرى هِشاما..
فهل نكونُ كذبةً كبيرةً
نحنُ العربْ؟؟

خريف ١٩٩٠

فاطمةْ تشتري عصفور الحزن

١

ناديتُ فاطمةَ.. وما وصل النداء
لم يبق حبٌّ في مدينتنا
ولا بقيتْ نساءْ..
إني لأبحثُ عن سماءِ طفولتي
وأعود مهزوماً،
فأين هي السماءْ؟

٢

هل أولُ الوطنِ البكاءُ؟
هل آخر الوطن البكاءُ؟

٣

وطن بدون نوافذٍ
هربتْ شوارعُه.
مآذنُه.
جوامعُه.
كنائسُه.

وفرَّ الحقُّ مذعوراً
وفرَّ الأتقياءْ..
يتكسَّرُ المنفى على المنفى
بداخلِنا..
وتبكي الكبرياءْ..

٥

ماذا سنكتبُ كي نقولَ جراحَنا
إن المسدسَ صار يكتبُ ما يشاءْ..

٦

إن السياسةَ وحدَها مستنقعٌ
ماذا.. إذا التقتْ السياسةُ والبغاء؟؟

٧

تستنشقُ الكلماتُ كبريتاً
فأينَ هو الهواءْ ؟..

٨

وطنٌ بلا وطنٍ..

وشعبٌ دونَ ذاكرةٍ..
وأحرارٌ يُسيِّرهُم إماءُ..

٩

إنا لنُذْبَحُ كالنعاجِ..
كأنما
دُمْنا، لدى الحكامِ، ماءْ..

١٠

منفَى.. على منفى.. على منفي
ولا ثقب صغير في الجدارِ.
مُدِّي يديْكِ، صديقتي
فلربما تتدفقُ الأنهارُ من تحتِ السوارِ.
مُدي يديك.. فربما
من خاتِم الفيروز، يأتي المُشْمُشُ الحَمَويُّ،
والصفصاف، والدفلي، وعطر الجلنار..
مُدي يديْكِ.. فإنني
من ألفِ عام
كنت أنتظرُ القطارْ

١١

مقهى فرنسيٌّ..
على مقهَى سويديٍّ..
على مقهى سويسريٍّ..
كأن القهوةَ السوداءَ..
يصنعها التوحُّدُ والشقاءْ..

١٢

مقهى بشكلِ الجُرح أدخلُهُ
وفاطمةٌ أمامي،
مثلما الأسماكُ تَضْجَرُ في الإناءْ.
وأنا أُحاول أن أقولَ قصيدةً
في مجدِ عينيْها..
فأسقطُ في الرثاء.
وأنا أحاولُ أن أُذكِّرها ببيروت
فتُدْخِلُني وتدخلُ
في أقاليمِ البكاءْ..

١٣

مازلت أخترعُ الشوارعَ..
والمقاهيَ..
والحدائقَ..
والظلالْ..
مازلت أخترعُ الإجابة والسؤالْ..

١٤

أين اللواتي، مرةً، أحْبَبْنَني
لم يبقَ في كتبِ الهوى
ألفٌ وباءْ..

١٥

العشقُ يكتبني.. ويمحوني
وقلبي، ريشةٌ حمراءُ
يعلُكها الهواءْ..

١٦

لو أنني مشطْتُ شعرَ حبيبتي
بأصابعي..

لمحوتُ خطَّ الاستواءْ...
أو أنني قبّلتُها..
في ثغرِها الوردِيِّ
لاحترقت عصافيرُ المساءْ..

١٧

سفرٌ..
على سفرٍ..
على سفرٍ..
ووجهتُنا المحالْ.
الشمسَ تأكلُ من نهودِ نسائِنا
الطيرُ تأكلُ من عيونِ صغارِنا
هل نحنُ فرعٌ من بطونِ بني هلالْ؟..

١٨

عربٌ... بلا عربٍ..
وسيقانُ النخيلِ، مُكسَّراتٌ في الرمالْ
والكحلُ في العينين، يرحلُ خائفاً نحوَ الشمالْ.
والشاعرُ العربيُّ..

قد فقدَ الحقيقةَ،
مثلما فقدَ الخيالْ..

١٩

وطنٌ يجيءُ على ضفائِرِ زينبٍ
ليلاً.. فما أحلَى المنامْ.
وطنٌ من النعناعِ يوقظني
لألعبَ فوقَ أدراجِ الرخامْ..
وطن من النارنج..
والخبيزةُ الخضراء..
والقططُ النظيفةُ.. واليمامْ
وطن حَبِلْتُ بقمْحِهِ.. وبخبزِهِ..
من ألفِ عامْ..

٢٠

من يقرأنَّ قصائدي
يوماً..
سيقْطرُ من أصابِعهمْ..
وفوقَ ثيابِهم

توتُ الشامْ..

٢١

بحرٌ شماليٌّ.
على بحرٍ جنوبيٍّ.
على بحرٍ بلا بحرٍ..
وأجهزة المباحثُ من رواءِ السندبادْ..
مازلت أخترعُ البلادَ.. ولا بلادْ..
مازلت أبحثُ عن عصافيري..
وأشيائي..
ورَكْوةِ قهوتي..
مازلت أبحثُ عن عباءة والدي
تحتَ الرمادْ..

٢٢

لاتقلقي يوماً عليَّ
إذا حزنتُ
فإنني رجلُ الشتاءْ
إن كنتُ مكسوراً..

ومكتئباً
ومطويًّا على نفسي..
فإن الحزنَ يخترعُ النساءْ...

٢٣

ناديتُ زينبَ في قبيلتِها
فردتني الخناجرُ والسهامْ.
لا الشعرُ مقبولٌ هناك..
ولا الشعورُ..
ولا الزهورُ..
ولا مكاتيبُ الغرامْ...

٢٤

عيناك من عسلٍ حجازيٍّ
وخصْرُكِ بعضُ ما غزلَ الغمامْ.
ويداك من ذهبٍ..
ومن عنبٍ..
ومن حبقٍ..
ومن قمرٍ حليبيٍّ..

ومن ريشِ النعامْ.
وأنا.. أمامَ تحولاتِ الكحل في العينين،
طفلٌ ضائعٌ وسطَ الزحام..
وأنا أحبُّك..
غير أني قد نسيتُ الآن..
ترتيبَ الكلام..

٢٥

قلقٌ ثقافيٌّ..
حضاريٌّ..
وجوديٌّ..
(كأن الريحَ تحتي..)
في الرحيل وفي المقام.
لا شَعْرُ فاطمةٍ ينامُ..
وليس يتركني أنامْ..

٢٦

منفايَ..
أصبح وردةً في عُروتي

هل أصبح العربيُّ مخلوقاً
يُهاجر كاللقالقِ والحمامْ؟؟

١٥ نيسان (أبريل) ١٩٩١

سأقفلُ باب القصيدة

١

سأقفلُ بابَ القصيدةِ..
حتى تنامي..
وأشطبُ كلَّ السطورِ،
وكلَّ النقاطِ،
وكل الدوائِر، حتى تنامي..
وسوف اوجِّلُ عشقي قليلاً..
وحزني قليلاً..
وقيلولتي فوقَ قطنِ يديكِ..قليلاً..
فأنت تعبتِ بفوضَى حروفي
وفوضى مزاجِي..
وفوضى وعودي
واني تعبتُ من الحفرِ فوقَ الرخامْ.

٢

سأقفل بابَ جميعِ اللغاتْ..
فليس لديَّ كلامْ،

يغطي المسافةَ بين صهيلِ يديَّ
وبين هديلِ الحمام..
وليس لدي قصيدةُ شعرٍ
بها تنعمين ببعضِ السلامْ..

٣

سأقفل بابَ جنوني قليلاً..
واترك كلَّ الحماقاتِ خلفي.
وفكرَ البداوةِ خلفي.
وعصرَ التخلفِ خلفي.
واترك شأنَ الغرامِ
لأهل الغرامْ..

٤

سأقفل بابَ الشرايين..
حتى تنامي.
فمنذ ثلاثينَ عاماً
أفتش عن وردةِ الشعر..
تحتَ الركامْ.

٥

خذي حبةً.. ضدَّ شوقي إليك.
وواحدةً..
ضد شعري الذي يتوضأ كلَّ صباحٍ
بماء الينابيعِ في ركبتيكِ..
وواحدةً..
ضد كلِّ العصافيرِ..كي لا تجيئ..
لتلتقطَ القمحَ من شفتيكِ..
خُذي نصفَ عمري، ونامي..
خذي كلَّ عمري، ونامي.
فبعد ثلاثين عاماً من الشعرِ، والعشقِ..
كم أنتِ في حاجة أن تنامي..

٦

خذي ما كتبتُ..
وما سوف أكتبُ..
إني تعبتُ من السيرِ فوقَ الصفيحِ،
وفوق الزجاجِ.

تعبتُ من الحبِّ، أسرقُهُ من ثقُوبِ الخيامْ.

٧

أردتُ صياغةَ عينيك شعراً..
ولكنني ما وصلتُ لشيءٍ..
فكلُّ الكتابات، قبلَك صفرٌ.
وكلّ الكتاباتِ، بعدَكِ صفرٌ.
فهل من كلامٍ يقولُكِ..
دونَ كلامْ؟؟